الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني في تفسيره لمخالفتها القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية (جمعاً ودراسةً)

إعداد:

د. صالحة حويض شريان المطرفي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية (عرعر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص

يهدف البحث إلى معرفة الأقوال التي ردها الخطيب الشربيني، وحكم عليها بالضعف في تفسيرهِ (**السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير**) فقد كان له جهد مشكور في بيان الأقوال الضعيفة والتنبيه عليها، فقد كان يتتبع كثيرًا من الأقوال، ويحكم عليها بالضعف، أو البطلان، أو عدم الصحة، ويعد تفسيره من أجل التفاسير وأنْفسِها، وقد حظى بدراساتٍ متعددة، وكان البحث فيه من عدة جوانب، غير أن جانب الأقوال التي ضعفها الخطيب لم تفرد بدراسة مستقلة؛ – مع كثرتها–لذا فإن هذا الجانب بحاجة إلى بحثٍ وَدراسة، تم استخدام المنهج الوصفي في مدخله الاستنباطي، جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، عالجت المقدمة أهمية البحث، وأهدافه، وسبب اختياره، وحدوده، والدراسات السابقة ذات الصلة، ومنهجهِ، وخطته، أما المبحث الأول: فكان للتعريف بالخطيب الشربيني وتفسيره، وجاء المبحث الثاني متضمناً الأقوال التي ضعفها لمخالفتها القراءات القرآنية، وخصص المبحث الثالث: للأقوال التي ضعفها الشربيني لمخالفتها قواعد اللغة، وختم البحث بخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات، وقد توصل البحث إلي جملة

من النتائج أهمها: أغلب الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني بعد البحث، والتتبع وجدت أنها ضعيفة كما قال، كان منهجه في رد القراءات القرآنية والقواعد اللغوية هو التحليل وحسن التعليل، وكانت لديه قدرة إقناعية مستمده من تمكنه من العلم والمعرفة، وأوصي بِكتابة موضوعات مشابهة تعني بدراسة الأقوال التي ضعفها علماء التفسير من خلال كتبهم، ودراسة أساليب علماء التفسير في النقد والتوجيه والرد والتضعيف.

الكلمات الدالة: الخطيب الشربيني، الأقوال، القراءات، التفسير، الضعف.

The sayings that Al-Khatib Al-Sharbini weakened in his interpretation Al-Siraj Al-Munir in helping to know some of the words of our Lord#، the All-Wise#، the All-Knowing (an analytical and critical study)

Abstract:

This research aims to know the statements that Al-Khatib Al-Sharbini rejected and judged as weak in his interpretation entitled (Al-Siraj Al-Munir fi Al-I'ana ala Ma'rifat Ba'd Kalam Rabbina Al-Hakim Al-Akhbar). He made acommendable effort in clarifying the weak statements and drawing attention to them. He used to track many statements and judge them as weak#، invalid#، or incorrect. His interpretation is considered one of the most important and valuable interpretations. It has been highly praised with multiple studies#، and the research was from several aspects#، but the aspect of the sayings that Al-Khatib Al-Sharbini -may God have mercy on him -weakened was not singled out for an independent study; -despite their abundance -therefore this aspect needs research and study. The descriptive method was used in its deductive approach. This research came in an introduction#، three chapters#، and a conclusion. The introduction dealt with the importance of the research#، its objectives#، the reason for choosing it#، its limits#، and previous

studies the relevant#، research methodology#، and plan. The first section was to introduce Al-Khatib Al-Sharbini and his interpretation. The second section included the sayings that Al-Sharbini weakened for violating the Quranic readings. The third section was devoted to the sayings that Al-Khatib Al-Sharbini weakened for violating the rules of the Arabic language .The research concluded with a conclusion that included the results and recommendations The research reached a number of results#، the most important of which are: Most of the sayings Which was weakened by Al-Khatib Al-Sharbini after research and tracking#، I found it to be weak as he said#، his approach in responding to the Quranic readings and linguistic rules was analysis and good reasoning#، and he had a persuasive ability derived from his mastery of science and knowledge. The most important recommendations are to write similar topics that mean studying the statements that were weakened by the scholars of interpretation through their books#، and to study the methods of the scholars of interpretation in criticism#، guidance#، response and weakening.

Keywords: Al-Thaalabi#، sayings#، readings#، interpretation#، weakness

المُقدِّمـة:

الحمد لله الذي أعلى بالقرآن أقدارنا، ووضع به أوزارنا، ورفع به ذكرنا، والصلاة والسلام على من أيده الله ﷻ بالقرآن مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، صلي وسلم ربي على أشرف من علم، وأذكى من أفهم وفهم، وعلى آله وصحبه الذين ترجموا القرآن واقعاً، واتخذوه إلى جميع المكرمات دافعاً، أما بعد:

يرفع الله بهذا بالقران أقواماً، ويضع به آخرين، ولقد شرف الله أهله، فكانوا أهل الله وخاصته، وجعلهم شهداءه على العصر الذي هم فيه، ففي كل عصر يختار الله شهوداً يشهدون عليهم بما عملوا، وأهل القرآن شهود الله؛ لأن الله ﷻ أعلى منزلتهم ومكانهم، ولقد غيض الله تعالي لحفظ كتابه علماء أجلاء أفنوا حياتهم في خدمة كتابه، وعكفوا على دراسته وفهمه واستنباط أحكامه وحكمه، ولقد وقع من بعض المفسرين بعض الأخطاء والانحرافات عن منهج التفسير الصحيح، مما أدَّى إلى وجود جملة من الأقوال الضعيفة والباطلة، ولذا كان واجباً على من يفسر القرآن أن يتتبع تلك الأقوال ويوضح مواطن الضعف فيها، ومن بين العلماء الذين عنوا بهذا الشأن الخطيب الشربيني، فقد خلف –رحمه الله – للمكتبة الإسلامية تراثًا عظيًما، يأتي في مقدمته تفسيره" السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير" إذ يعد تفسيره من أجل التفاسير وأنفسها، وقد حظي بدراسات عديدة، ولقد كان من نهجهِ في تفسيره أنه يتعقب الأقوال ويحكم عليها بالضعف، أو الشذوذ، أو البطلان، وما شابه ذلك، مع ترجيح للأقوال الصحيحة.

مشكلة البحث: إن الأقوال التي حكم عليها الشربيني بالضعف أو بِالبطلان مبثوثة في ثنايا تفسيره؛ ومن هنا تكمن مشكلة البحث، ولمعرفة المنهج الذي اتبعه وسار عليه، كان لا بد من تتبعها وجمعها ودراستها، كذلك معرفة مدي أصابته للحق عند حكمه على تلك الأقوال بالضعف أو الشذوذ أو البطلان.

أهمية البحث:

١. تَعَلُّق البحث بالقرآن الكريم، وبفهمه وتدبره، وذلك أكبر متطلَّب ومقصود شرعيّ.

٢. القيمة العلمية لتفسير الخطيب الشِّربيني، فهو يعتبر أصلًا من أصول التفسير.

٣. بيان جهود الخطيب الشربيني في توضيح الأقوال الضعيفة والشاذة في التفسير.

٤. معرفة الأقوال التفسيرية ومعرفة أحوال المفسرين.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

١. التعرف على الخطيب الشربيني وتفسيره

٢. معرفة الأقوال التي ضعفها الخطيب بسبب مخالفة القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية.

أسباب اختيار البحث: أمّا سبب اختياري لهذا الموضوع فيتلخص في عدة أسباب، وهي:

١. الوقوف على الأقوال التي ضعفها الشربيني حيث إنَّها شغلت حيزاً كبيراً في تفسيره.

٢. الحاجة الماسّة لمثل هذه المواضيع المُهمَّة والتي يحتاج اليها الناس.

٣. الرغبة في إثراء المكتبة العلمية بالكتابة في هذا الموضوع.

تساؤلات البحث:

١. ما الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني في تفسيره.

٢. كيف أجاب الخطيب الشربيني علي تلك الأقوال.

٣. ما الأدلة والبراهين المؤيدة لردود الخطيب الشربيني.

٤. ما الراجح من تلك الإجابات والردود.

حدود البحث: يعرض البحث لِأهم الأقوال التي ضعفها الشربيني في تفسيره، مِما اشتمل عليه متن تفسيره:" السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير" ومناقشتها.

منهج البحث: استخدمتُ المنهج الاستنباطي الذي يعد أحدُ أساليب المنهج الاستقرائي الوصفي.

إجْراءات البحث: تم استخدام بعض الخطوات البحثية الآتية:

١. جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع البحث مع عزو الآيات إلى سورها وذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢. متابعة أقوال العلماء لما له علاقة بالموضوع من كتب التفسير.

٣. اعتماد الطريقة الاستقرائية؛ وذلك بهدف الوقوف على الأقوال التي وردت في تفسير الخطيب الشربيني.

٤. الاعتماد على الآيات التي ذكر الخطيب الشربيني أن فيها ضعفًا أو بطلان، وتوزيعها على مباحث البحث.

٥. وضع العناوين المناسبة للمباحث.

٦. الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين مع التوثيق في الحاشية، مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة تخدم البحث.

٧. عمل فهارس للمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة: حظي تفسير الخطيب الشربيني بكثير من الدراسات العلمية، ولكن حسب اطلاعي لم يتناول أحدٌ من الدارسين موضوع الأقوال التي ضعفها في تفسيره، ومن تلك الدراسات:

١. دراسة بعنوان التجديد في النحو: دراسة مذهب الخطيب الشربيني اللغوي في تفسيره السراج المنير، للباحث هاشم حداد، حاولت هذه الدراسة الكشف عن مذهب الخطيب الشربيني اللغوي من خلال آرائه المتناثرة في تفسيره (السراج المنير)

٢. دراسة بعنوان" علوم القرآن في تفسير الخطيب الشربيني "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" وأثرها في تفسيره. رسالة دكتوراة للباحثة فاطمة بنت جبران القحطاني، جامعة أم القري، كلية الدعوة وأصول الدين، تناولت الدراسة علوم القرآن في تفسير الخطيب الشربيني "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير" وأثرها في تفسيره.

٣. دراسة بعنوان " القضايا والاتجاهات النحوّية في تفسير السراج المنير للخطيب الشربينّي إعداد: رمضان فوزي بديني، رسالة ماجستير.

٤. دراسة بعنوان " العلامة الخطيب الشربيني ومنهجه في تفسير السراج المنير، إعداد: وفاء حمود سعداوي، رسالة ماجستير.

٥. دراسة بعنوان " منهج الخطيب الشربيني في تفسير الآيات الموهمة للتشبيه" نماذج تطبيقية " للباحث محمد إبراهيم عبد المحمود، جامعة الأزهر.

٦. دراسة بعنوان " موقف الخطيب الشربيني من الإسرائيليات من خلال تفسيره (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير) للباحث مفضل حلمي مفضل، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة المنيا.

٧. دراسة بعنوان " الأحاديث والآثار الواردة في كتاب السراج المنِير للإمام الخطيب الشربيني المصري المتوفى ٩٧٧ هـ. من المقدمة الى الآية ١٢٩ من سورة التوبة " دراسة وتخريجا " للباحثة أناهيد الطيب محمد، جامعة أم درمان الإسلامية.

٨. دراسة بعنوان " توجيه القراءات عند الخطيب الشربيني في سورة البقرة: جمعًا ودراسةً، للباحثتين: منيرة بنت سعود الملحم وهيا بنت حمدان الشمري، جامعة الملك سعود.

٩. دراسة بعنوان " منهج الخطيب الشربيني في التفسير، للباحث: أحمد مسعود، الجامعة الأردنية، ١٤٠٦هـ.

١٠. دراسة بعنوان " الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير، للباحث: ثقيل الشمري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

١١. دراسة بعنوان " السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الشربيني الخطيب: ت:٩٧٧هـ: من بداية تفسير الآية ٢٢٨ سورة البقرة إلى نهاية تفسير الآية ٦ سورة النساء: دراسة وتحقيقا، للأستاذ: تركي البشري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٦هـ.

خطة البحث: اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

أما المقدمة فَذكرت فيها (أهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، وتساؤلاته، وحدوده، ومنهجه، والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوعِهِ، وخطته)

المبحث الأول: التعريف بالخطيب الشربيني، تناولت فيه اسمه ونسبه ومولده وطلبه العلم ومؤلفاته ووفاته.

المبحث الثاني: تضمن الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني في تفسيره لمخالفتها القراءات القرآنية.

المبحث الثالث: تضمن الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني لمخالفتها قواعد اللغة العربية

الخاتمة: ختم البحث بخاتمة تضمنت النتائج والتَّوصيات، واتبع البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالخطيب، تناولت فيه اسمه وكنيته ومولده ونشأته وطلبه العلم ومؤلفاته ووفاته.

أولًا: اسمه وكنيته: هو محمد بن أحمد الشربيني الخطيب، القاهري الشافعي، الإمام العلامة، ويعرف بالخطيب[١] فقيه، مفسّر، متكلّم، نحوّي، صرفّي[٢] هذا وقد ذكر ابن العماد في شذرات الذهب أن اسمه محمد بن محمد[٣].

ومولده ونشأته: ولد الخطيب في مدينة شربين التابعة لمحافظة الدقهليّة بِمصر العربية، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ميلاده، وَاعتماداً علىَ من تلقّى عليهم العلم؛ كالشيخ زكريا الأنصاري (٩٢٦) –يرجح أن مولده في أوائل القرن العاشر، أو أواخر القرن التاسع، وأّما نشأته، فقد نشأ مكبًّا على الاشتغال بالعلم والعمل به، وتعليمه الناس.

---

(١) محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: وضع حواشيه: خليل المنصور، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م،٣/٧٢، وعلي باشا المبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: ط ١، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٠٦هـ، ١/١٢٧، و إسماعيل باشا البغدادّي هديّة العارفين وآثار المصنفين،(د. ط)، دار إحياء التراث العربّي، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م،٢/٢٥٠، و يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات: ،)د. ط(الثقافة الدينية، القاهرة،)د.ت(، ١/١١٠٨، ومصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب حلبي، كشف الظنون: ، (د. ط)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د. ت)، ٢/١٦١ كحالة؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى –بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٦٩/٨؛ والزركلي الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر –أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ١٥٩/٣.

(٢) كحالة، معجم المؤلفين، ٢٦٩/٨.

(٣) ابن العماد (ت ١٠٨٩ ه)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ ه]، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ –١٩٨٦ م، ٥٦١/١٠.

طلبه العلم: ذكر ابن العماد الحنبلي أنَّه أخذ العلم عن الشيخ أحمد البرلسي، الملقب بعميرة، والنور المحلي، والنور الطهواني، والشمس محمد بن عبد الرحمن بن خليل النشكي الكردي، والبدر المشهدي، والشهاب الرملي والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وغيرهم وأجاوزه بالإفتاء والتدريس، فدرس، وأفتى في حياة أشياخه وانتفع به خلائق لا يحصون، وأجمع أهل مصر على صلاحه، ووصفوه بالعلم والعمل والزهد والورع وكثرة النُّسك والعبادة(١).

مؤلفاته: خلف الخطيب الشربينيرحمه الله ثروةً علميةً واسعةً تمثلت في مؤلفاته الكثيرة المفيدة، والقيمة في محتواها فهو من العلماء الذين أفنوا حياتهم في التَّعليم والتَّدريس، ولقد صنف في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والنحو والأصول وعلم الكلام والمنطق وسنذكر بعضاً من مؤلفاته:

١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وهو في تفسير القرآن الكريم وهو مطبوع.

٢. الإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع في الفقه الشافعي وهو شرح على متن غاية الاختصار للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني، وذكر في مقدمته أنه ألفه بعد شرحه المنهاج وشرحه التنبيه، وهو مطبوع في مجلد.

٣. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج في فقه الشافعية شرح فيه منهاج الطالبين للإمام النووي، والمنهاج وشرحه المغني من الكتب المعتمدة عند الشافعية. وهو مطبوع.

٤. شرح التنبيه في فقه الشافعية شرح فيه كتاب التنبيه لأبي إسحاق إبراهيم الشيرازي مطبوع.

٥. شرح البهجة الوردية وهو شرح منظومة زين الدين عمر بن مظفر الوردي الشافعي للحاوي الصغير في فروع الشافعية لنجم الدين القزويني وهي في خمسة آلاف بيتٍ.

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٣٨٤/٤.

٦. شرح شواهد قطر الندى وبلّ الصَّدى لابن هشام النحوي وهو مطبوع.
٧. تقريرات على المطول في البلاغة للتفْتازاني وهو مطبوع.
٨. مناسك الحج.
٩. الفتح الرباني في حلّ ألفاظ تصريف عز الدين الزّنجاني.
١٠. فتح المالك في حلّ ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك.
١١. شرح منهاج الدين للجرجاني في شعب الإيمان.
١٢. نور السجيَّة في حلّ ألفاظ الأجرومية[١].

ثناء العلماء عنه:

قال عنه صاحب كتاب الخطط التوفيقيَّة: الأخ الصالح العالم الزاهد، المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا، الشيخ شمس الدين الخَطيب الشربيني، صحبته نحو أربعين سنةً فما رأيت عليهِ شيئا يشينه في دينه، ولم أر في أقرانه مثله في حفظ جوارحه، وغفلته عما فيه السعي على الدنيا ووظائفها ومضايقة أهلها، ولم يزل مكبًّا على الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه للناس، ولا يرى إلا في مطالعة علم أو صلاة أو قراءة أو صيام، متفكرا في أهوال يوم القيامة. ولم أسمعه مدة صحبتي له يذكر أحدًا من أقرانه بسوء، ولا يحسد أحدا على ما آتاه الله من علم أو مال أو إقبال من الأكابر، ولا غير ذلك من رعونات النفس ولا رأيت أحدا من أقرانه أكثر اعتكافًا منه في رمضان وغيره. ومن عادته أن يدخل الجامع الأزهر من أول ليلة الصيام، فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيدِ[٢].

وقال عنه صاحب الكواكب السائرة: وأجازوه بالإفتاء، والتدريس، فدرس وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون، وأجمع أهل مصر صلاحه ووصفوه بالعلم والعمل، والزهد والورع، وكثرة النسك والعبادة.

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون غراس الكتب والفنون، ٤٨٩/١. كحالة، معجم المؤلفين ٣/ ٦٩.
(٢) –علي باشا المبارك، الخطط التوفيقية، ٣٧٣/١٢

كان من عادته أن يعتكف من أول رمضان؛ فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد، وكان إذا حجَّ لا يركب إلا بعد تعبٍ شديدٍ يمشي كثيراً عن الدابة، وكان إذا خرج من بركة الحاج لم يزل يعلم الناس المناسك، وآداب السفر، ويحثهم على الصلاة، ويعلمهم كيف القصر والجمع، وكان يكثر من تلاوة القرآن في الطريق، وغيره، وإذا كان بمكة أكثر من الطواف ومع ذلك كان يصوم بمكة والسفر أكثر أيامه، ويؤثر على نفسه كان يؤثر الخمول، ولا يكترث بأشغال الدنيا وبالجملة كان آية من آيات الله تعالى، وحجة من حججه على خلقهِ(١).

وفاته: ذكر صاحب الكواكب السائرة أنه لم يؤرخ أحدٌ وفاته، ولكنه يقول قرأت نقلاً عن بعض الثِّقات أنه توفي بعد العصر يوم الخميس ثامن شعبان سنة سبع وسبعين بتقديم السين فيهما وتسعمائة(٢).

أّما حاجي خليفة فقد تفّرد بتاريخ وفاته، فقال:" الشيخ محمد الشربيني الخطيب المتوفّي سنة:٩٧٣ ثالث وسبعين وتسعمائة"(٣) .

(١) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٧٢/٣.

(٢) السَّابق نَفسه.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون غراس الكتب والفنون، ٤٨٩/١.

المطلب الأول: وصف تفسير الخطيب الشربيني ومنهجه

ذكر الخطيب الشربيني في مقدمة تفسيره سبب تأليفه التَّفسير، وأنه استخار الله في الروضة الشريفة فشرح الله صدره لذلك، كما أنه ذكر منهجه فيه، (تردّدت في ذلك مدّة من الزمان خوفاً من الدخول في هذا الشأن لقوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[1].

ثم يتابع قائلاً: إلى أن يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلينﷺ وعلى سائر النبيّين والآل والصحب أجمعين في أوّل عام تسعمائة وَواحد وستين، فاستخرت الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته، وسألته أن ييسر لي أمري فشرح الله ﷻ لذلك صدري فلما رجعت من سفري واستمرّ ذلك الانشراح معي، وكتمت ذلك في سرّي، حتى قال لي شخص من أصحابي: رأيت في منامي إما النبيّ ﷺ وإمَّا الشافعيّ يقول لي: قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن فعن قليل إلا وقد قرّرت في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان ثم سألني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين بعد أن رأوني فرغت من شرح «منهاج الطالبين» أن أجعل لهم تفسيراً وسطاً بين الطويل الممل والقصير المخل، فأجبتهم إلى ذلك ممتثلاً وصية رسول الله ﷺ فيهم.

فَفيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً» واقتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاءً على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بدّ في

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله-ﷺ-باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال عنه غريب، انظر: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي للنشر – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥ م، ٥/٢٠٠.

كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجدّ والجهد، تنبيهاً للمتوقفين، وتحريضاً للمُثبطين، وليكون ذلك عوناً لي وللقاصرين مثلي، –ثم بيّن منهجه فيه فقال–مقتصراً فيه على أرجح الأقوال وإعراب ما

يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، وحيث ذكرت فيه شيئاً من القراءات فهو من السبع المشهورات، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوّة مداركها، أو لورودها ولكن بصيغة قيل ليعلم أن المرضي أوّلها وسميته:" السراج المنير" في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، وأسأله من فضله وإحسانه أن يجعله عملاً مقروناً بالإخلاص والقبول والإقبال وفعلاً متقبلاً مرضيًّا زكيًّا يعدّ من صالح الأعمال، وقد تلقّيت التفسير بحمد الله من تفاسير متعدّدة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم، واشتهرت وانتشرت مآثرهم، جمعني الله وإياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وآله وصحابته. وها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤولٍ[١].

ثمَّ إنَّ الخطيب الشربيني وضع منذ البداية منهجاً واضحَ المعالمِ في التفسير، وبعد الاطلاع على تفسيره تبين أنه حاول الالتزام بمنهجه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، كما أننا نجده ذكر أوضح المصادر التي استقي منها تفسيره فذكر أنّه تلقّى التفسير من تفاسير متعدّدة رواية ودراية عن أئمّة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت مآثرهم.

وأوضح الذهبي: ١٣٩٨هـ منهج الشربيني قائلا:" وقد وفّى فيه صاحبه بما وعد، فلم يذكر من القراءات إلا ما تواتر منها، ولم يقحم نفسه فيما لا يعني المفسّر من ذكر الأعاريب التي لا تمّت إلى التفسير بسبب، كما أنّه وفّى بما التزمه من أنّه لا يذكر

(١) الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة،١٢٨٥هـ ١/٣–٤.

فيه إلا حديثا صحيحاً أو حسناً؛ ولهذا نراه يتعقّب الزمخشري (٥٣٨هـ)، والبيضاوي(٦٨٥هـ) فيما ذكراه من الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة، كما ينبّه على الأحاديث الضعيفة إن روى منها في تفسير منها في تفسيرهِ[١].

المطلب الثاني: مصادره في تفسيره

أوّلا :مصادره من كتب التّفسير: اعتمد الخطيب الشربيني على عدة مصادر مهمة في التفسير، منها:

١. تفسير الطبري
٢. تفسير ابن كثير
٣. تفسير الزمخشري
٤. تفسير البيضاوي.
٥. البحر المحيط لأبي حيّان.
٦. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام الرّازيّ
٧. تفسير النسفي
٨. تفسير الجلال المحلي
٩. تفسير البقاعي

ثانيا: المصادر الّتي اعتمد عليها من كتب السّنّة:

١. صحيح الإمام البخاري.
٢. صحيح الإمام مسلم.
٣. سنن أبي داود.
٤. سنن الترمذي.
٥. مسند الإمام أحمد.

(١) الذهبي، محّمد حسين الذهبي، التفسير والمفسّرون، (د. ط)، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٤٢/١.

المبحث الثاني

الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني لمخالفتها القراءات القرآنية:

استعمل الخطيب الشربيني عبارات متنوعة وصيغ متفاوتة عند الحكم علي الأقوال التي كان يضعفها، فتارة يَصف القول بالضعف أو البطلان، أو البعد أو الغرابة، كما كان يصف الأقوال في بعض الأحيان بقوله: وهذا القول بعيد جدًّا، أو مردود أو مخالف، كذلك كان يضعف الأقوال بعبارات وهو خطأ، أو غلط، أو وهم، وغير ذلك من العبارات التي تصف الأقوال بالضعف، فلم يكن الخطيب الشربيني ناقلا للأقوال، جامعاً لها، بل كان ناقداً ومناقشاً، إلى جانب علمه ومتابعته للتفاسير وكتب القراءات والنحو التي تقدّمته، وكان يرجع في كّل علم إلى المصادر الأصيلة.

كان الخطيب الشربيني يذكر الأقوال التي ذكرت في الآية فمثلا عند تعرُّضهِ لِتفسير قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران:١٩] يقول الخطيب الشربيني ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ أي: المرضي ﴿عند الله﴾ هو ﴿الإسلام﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي: لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة، ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران، ٨٥] وقرأ الكسائي بفتح الهمزة إن قيل على أنه بدل من أنه إلخ.. بدل اشتمال وضعفه أبو حيان؛ لأن فيه فصلاً بين البدل والمبدل منه بأجنبي.

والصواب أنه معمول للحكيم بإسقاط الجار أي: الحكيم بأن الدين، والباقون بكسرها على الاستئناف[١] فنجده ضعف قراءة الكسائي بقول أبي حيان، لكننا نجد أن ابن خالويه صحح القراءتين فقال: قوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ. يقرأ بفتح همزة

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢٠٣/١.

إنّ وكسرها، فالحجة لمن فتح: أنه أوقع عليها الشهادة فجعلها بدلا من الأولى، ومن كسرها جعلها مبتدأة؛ لأن الكلام قد تمّ دونها بوقوع الشهادة على الأولى(١).

وفي قوله تعالي:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء:١] يقول الشربيني بعد تفسيره للآية: ﴿و﴾ اتقوا ﴿الأرحام﴾ أي: بأن تصلوها ولا تقطعوها، وكانوا يتناشدون بالرحم، وقد نبَّه –تعالى–إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه تعالى.

روى الشيخان عن عائشة ﵂ قالت: قال ﷺ: «الرحم بالعرش تقول :ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله تعالى» وقرأ غير حمزة بالنصب عطفاً على الله تعالى، فالعامل فيه اتقوا كما قدرته، أو معطوف على محلِّ الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمراً، وأما حمزة فقرأه بالجر عطفاً على الضمير المجرور.

وقول البيضاوي: وهو ضعيف أي: كما هو مذهب البصريين ممنوع، والحق أنه ليس بضعيف فقد جوّزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفاً والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين، وتعليلهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضي إلحاقه به في عدم جواز العطف إذ حذف الشيء مع القرينة جائز ومنه: رسم دار وقفت في طلله، أي: ورب رسم دار وقول الشاعر: اذهب فما بك والأيام من عجبٍ(٢).

فذكر أن البيضاوي ضعف قراءة الجر، ثم رد قول البيضاوي وضعفه، بقوله ممنوع، وذكر أن الكوفيون جوزوها، وذكر أنه من الممكن حذف الشيء مع القرينة.

ذكر أبو علي أن القراءة بالخفض ضعيفة فقال: واختلفوا في نصب الميم وكسرها من قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١]، فقرأ حمزة وحدة :والأرحام بالخفض؛ وقرأ

(١) ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، "الحجة في القراءات السبع". تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم الأستاذ المساعد بكلية الآداب –جامعة الكويت. دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ، ص–١٠٧.

(٢) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢٠٣/١.

الباقون :والأرحام نصبا، قال أبو علي :من نصب الأرحام احتمل انتصابه وجهين : أحدهما :أن يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور، والآخر: أن يكون معطوفا على قوله واتقوا والتقدير :اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أي اتقوا حقّها فصلوها ولا تقطعوها، وأمّا من جرّها فإنّه عطفه على الضمير المجرور بالباء، وهذا ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن(١).

وعند تفسير قوله تعالي:﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧] يقول: ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم والكفر بربهم شركاؤهم ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ أي: بالوأد خشية الإملاق ﴿شركاؤهم﴾ من الجن أو من السدنة أي: الخدمة، وقرأ غير ابن عامر بفتح الزاي والياء ونصب لام قتل وكسر دال أولادهم وشركاؤهم بالواو مضمومة الهمزة على أنه فاعل، وقرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وشركائهم بالياء مكسورة الهمزة بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله.

قال البيضاوي تبعاً للزمخشري: وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورة الشعر، وقد أنكر جماعة على الزمخشري في ذلك بأن القراءة المذكورة صحيحة متواترة وتركيبها صحيح في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في ناقلها.

قال التفتازاني: وهذا على عادته يطعن في متواتر القراءات السبع، ويسند الخطأ تارة إليهم كما هنا وتارة إلى الرواية عنهم وكلاهما خطأ؛ لأنّ القراءات متواترة، وكذا الروايات عنهم، وأطال في بيان ذلك، وقال ابن مالك في كافيته: إضافة المصدر إلى الفاعل مفصولاً بينهما بمفعول المصدر جائزة في الاختيار؛ إذ لا محذور فيها مع أنّ الفاعل كجزء من عامله فلا يضر فصله وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم

(١) أبو علي الفارسي، "الحجة دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م، ١٢١/٣.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به، والإرداء في اللغة الإهلاك(١).

وعند تفسير قوله تعالي:﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة:١٢] يقول: أي: الكفار بأسرهم، وإنما خص الأئمة منهم بالذكر؛ لأنَّهم هم الذين يحرضون الأتباع منهم على هذه الأعمال الباطلة، وقال ابن عباس :نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام وأبي جهل وسائر رؤساء قريش، وهم الذين نقضوا عهودهم وهموا بإخراج الرسول، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة وحققها الباقون، وقول البيضاوي :والتصريح بالياء لحن تبع فيه الكشاف التابع للفراء، وهو مردود، فالجمهور من النحاة والقراء على جواز قلب الهمزة الثانية حرف لين(٢).

وعندما فسر قوله تعالي:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة:٣٠] يقول: وقرأ عاصم والكسائيّ عزير بالتنوين والباقون بغير تنوين، قال الزجاج :الوجه إثبات التنوين فقوله: عزير مبتدأ، وقوله :ابن خبره، وإذا كان كذلك فلابدّ من التنوين في حال السعة لأنّ عزيراً ينصرف سواء كان عربيًّا أم عجميًّا وسبب كونه منصرفاً أمران: أحدهما: أنه اسم خفيف فينصرف وإن كان أعجميًّا كهود ولوط والثاني: أنه على صيغة التصغير وأنّ الأسماء الأعجمية لا تصغر. وأمّا الذين تركوا التنوين فلهم فيه أوجه :أحدها أنه أعجميّ معرفة فوجب ألا ينصرف.

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٤٥١/١.
(٢) السَّابق نَفسهُ.

وثانيها: قال الفرّاء: نون التنوين ساكنة من عزير والباء من ابن الله ساكنة فحصل ههنا التقاء الساكنين فحذف التنوين للتخفيف، وردّ هذا الوجه بأنه مخالف لما تقرّر من أن الوجه عند ملاقاة التنوين للساكن التحريك لا الحذف. وثالثها :أنّ الابن وصف والخبر محذوف والتقدير عزير بن الله معبودنا، وردّ هذا أيضاً بأنه يؤدّي إلى تسليم النسب وإنكار الخبر المقدّر لأنّ من أخبر عن ذات موصوفة بصفة بأمر من الأمور وأنكره منكر توجه الإنكار إلى الخبر فكان المقصود بالإنكار قولهم :عزير ابن الله معبودنا وحصل تسليم كونه ابن الله ومعلوم أن ذلك كفرٌ[١].

لم يكن الخطيب الشربيني ناقلاً للأقوال فقط، بل كان يرجح ويفند ويدلل ويذكر آراء العلماء في القراءات، ويحلل الآراء التفسيرية دون التحيز لأي قول إلا إذا صح وقوي دليله.

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٦٠٣/١.

المبحث الثالث

الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني لمخالفتها اللغة العربية

عني الخطيب الشربيني باللغة العربية في تفسيره، فكان يرد الأقوال التي يري أنها غير متوافقة مع قواعد العربية، ويحكم عليها بالضعف، أو الرد أو الخطأ، وقد اهتم بكل القواعد اللغوية سواء كانت نحواً، أم صرفاً، أم بلاغةً، أم معانٍ، وفي هذا المبحث تُتناول بعض الأقوال التي ردها أو ضعفها لمخالفتها قواعد اللغة العربية.

فعند تفسيره لقوله تعالي: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] يقول: اختلف العلماء في نظم هذه الآية فقال قوم: الواو في قوله (والراسخون) واو العطف أي: أنّ تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وهم مع علمهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وهذا قول مجاهد والربيع.

وعلى هذا يكون قوله: ﴿يقولون﴾ حالاً معناه والراسخون في العلم قائلين: آمنا به، وذهب الأكثرون إلى أن الواو في قوله: والراسخون واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ وهو قول أبي بن كعب وعائشة وغيرهما وقالوا: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله ويجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحداً من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، وعدد الزبانية، ونزول عيسى-ﷺ-ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالإيمان به، وفي المحكم بالإيمان به والعمل.

قال عمر بن عبد العزيز فيها: انتهى علم الراسخين في العلم بالتأويل إلى أن قالوا: آمنا به قال في «الكشاف»: والأوّل هو الأوجه، ووجَّهه شيخنا القاضي زكريا بقوله: لأنّ المتشابه على الثاني يصير الخطاب به كالخطاب بالمهملات. ومع هذا فالوجه هو الثاني؛ لأنه أشبه بظاهر الآية ويدل له وجوه: أحدها أنه ذمّ طالب المتشابه بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الآية.

وثانيها: أنه مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون: آمنا به وقال في أوّل البقرة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٦] فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الإيمان به مدح؛ لأنّ كلَّ من عرف شيئاً على سبيل التفصيل فلا بد أن يؤمن به.

ثالثها: لو كان قوله والراسخون معطوفاً لصار قوله: يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عن الفصاحة، وكان الأولى أن يقال وهم يقولون أو يقال ويقولون.

فإن قيل: في تصحيحه وجهان: الأوّل: أن يقولوا خبر مبتدأ والتقدير هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا.

الثاني: أن يكون يقولون حالاً من الراسخين، أجيب: بأنّ الأوّل مدفوع بأنّ تفسير كلام الله تعالى بما لا يحتاج معه إلى إضمار أولى.

والثالث: أنّ ذا الحال هي الذي تقدّم ذكره وهم الراسخون فوجب أن يكون قوله: آمنا به حالاً من الراسخين لا من الله وذلك ترك للظاهر.

والرابع: قوله تعالى: ﴿كل﴾ أي: من المحكم والمتشابه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ معناه أنهم آمنوا بما عرفوا تفصيله وبما لم يعرفوا تفصيله ولو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فائدة، وخامسها: نقل عن ابن عباس ﷺ أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير لا يسع أحداً جهله، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى، وسئل مالك بن أنس ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فإن قيل :ما الفائدة في لفظ عند، ولو قال كل من ربنا لحصل المقصود؟ أجيب :بأنّ الإيمان بالمتشابه يحتاج فيه إلى مزيد التأكيد.

فإن قيل :لم حذف المضاف إليه من كل؟ أجيب :بأنّ دلالته على المضاف إليه قوية فالأمن من اللبس بعد الحذف حاصل ﴿وما يذكر﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي: ما يتعظ بما في القرآن ﴿إلا أولو الألباب﴾أي: أصحاب العقول(١).

فنراه هنا ذكر الأقوال للمفسرين، ثم رد عليها بترجيح القول الثاني، ودلل على ذلك بأدلة، ثم اتبع ذلك بتساؤلات كثيرة ورد عليها جميعا مما يدل على تمكنه من اللغة العربية

وعند تفسير قوله تعالي:﴿ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾ [الحجر:١٢-١٣]. يضعف الأقوال مستنداً على تفسير البيضاوي للآية فيقول:

وفي الآية دليل على أنّ الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ (المدثر، ٤٢)، وقيل: الضمير في نسلكه يعود للذكر كما أنّ الضمير في به يعود إليه وجملة لا يؤمنون به حال من ذلك الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذباً به غير مؤمن به قال البيضاوي: وهذا الاستدلال ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليهِ(٢).

جاء في تفسير البيضاوي: كَذلِكَ نَسْلُكُهُ ندخله. فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط، والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء. وفيه دليل على أن الله يوجد الباطل في قلوبهم. وقيل ل الذِّكْرَ فإن الضمير الآخر في قوله: لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ له وهي حال من هذا الضمير، والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذباً غير مؤمن به، أو بيان للجملة المتضمنة له، وهذا

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ١/١٩٦-١٩٧.
(٢) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢/١٩٤-١٩٥.

الاحتجاج ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكون حالاً من المجرمين، ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الأول، بل يقويه. وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أي سنة الله فيهم بأن خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم، أو بإهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكةَ[١].

وفي قوله تعالي:﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٦٩] يقول: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّ أخي يشتكي بطنه. فقال ﷺ اسقه العسل، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع؟ فقال :اذهب فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه، فشفاه الله، فبرأ، فكأنما نشط من عقال» فقوله ﷺ " صدق الله وكذب بطن أخيك، يحتمل أنه ﷺ علم بنور الوحي الإلهي، أنّ العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال قال :صدق الله يعني فيما وعده من أنّ فيه شفاء للناس، وكذب بطن أخيك، يعني باستعجالكم للشفاء في أوّل مرّة. وقال مجاهد :الضمير في (فيه شفاء للناس) راجع للقرآن، لأنّ فيه شفاء من أمراض الشرك، والجهالة والضلالة. وهو هدى ورحمة للناس وعلى هذا تمت قصة تولد العسل من النحل عند قوله تعالى:(خرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) ثم ابتدأ وقال: (فيه شفاء للناس) أي: في هذا القرآن. قال الرازي: وهذا قول ضعيف، ويدل عليه وجهان :الأوّل أنّ الضمير في قوله تعالى :(فيه شفاء للناس) يجب عوده إلى أقرب المذكورات، وما ذاك إلا قوله تعالى(شراب مختلف ألوانه). وأمّا الحكم بعود هذا

(١(ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت: ٦٨٥هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي–إحياء التراث للنشر –بيروت، ط١، ١٤١٨، ٣/٢٠٧–٢٠٨.

الضمير إلى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب. والثاني :حديث أبي سعيد الخدري المتقدّم.(١)

وفي قوله تعالي:﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم:٦]. يقول: أن الباء مزيدة في المبتدأ، والتقدير: أيكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو: بحسبك زيد، وإلى هذا ذهب قتادة، قال ابن عادل: إلا أنه ضعيف من حيث إن الباء لا تزاد في المبتدأ إلا في حسبك فقط(٢).

وعند تفسير قوله تعالي:﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢﴾ [الكهف:٢٢].

ذكر الخطيب الشربيني أراء حول عدد أصحاب الكهف ورجح أن يكونوا سبعة، وفي أخر الآراء رد قول محمد بن اسحق فقال: هذه الواو دالة على أنّ الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وقول محمد بن إسحاق: إنهم كانوا ثمانية مردود فكأنّ الله تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ ثم حقق هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والثامن لا يكون إلا بعد السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لأنّ العرب تعد فتقول واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأنّ العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظير هذه الآية في ثلاث آيات وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] لأنّ أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، وقوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥](٣).

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢٤٦/٢.
(٢) السَّابق ٣٥٤/٤.
(٣) السَّابق ٣٦٤/٢.

وعنما فسر قوله تعالي:﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾[ص: ٣٣] قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل المعروضة، وقيل: الضمير يرجع للشمس، وهذا بعيد لوجوه.

الأول: أن الصافنات مذكورة بالصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدر.

والثاني: أنه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنباً عظيماً ومن كان هذِهِ حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في إظهار التوبة، فأما أن يقول على سبيل العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الأدب عقب ذلك الجرم العظيم الذي لا يصدر عن أبعد الناس عن الخير فكيف يجوز إسناده للرسول –ﷺ–المطهر المكرم.

الثالث: أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهداً لكل أهل الدنيا ولو كان كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وحيث لم ينقل علمنا فساده(١).

وعند تفسير قوله تعالي:﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾[الصافات: ٧] يقول: وفي قوله تعالى: ﴿وحفظاً﴾ في نصبه وجهان؛ أحدهما: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر أي: وحفظناها بالثواقب من الكواكب حفظاً، والثاني: أنه مفعول من أجله على المعنى فإن التقدير: وخلقنا الكواكب زينة وحفظاً قال أبو حيان: وهو تكلف وعدول عن السهل البين، والمعنى: وحفظناها من الشياطين الذين يسترقون السمع بالشهب أو من الآفات(٢).

وعند تفسيره لأوائل سورة الفتح وفي قوله تعالي﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح:٢]، يقول: اختلف قول المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ أي: الملك الأعظم. فقال البيضاوي: علة للفتح من حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في إعلاء الدين وإزاحة الشرك

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٤١٢/٣.
(٢) السَّابق ٥٠٩/٣.

وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي: قيل: اللام لام كي معناه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح. وقال الجلال المحلي: اللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب. وقال بعضهم: إنها لام القسم. والأصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيهاً بلام كي وحذفت النون وردّ هذا: بأنّ اللام لا تكسر وبأنها لا تنصب المضارع، قال ابن عادل: وقد يقال إنّ هذا ليس بنصب، وإنما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها، ولكنه قول مردود. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة؟ قلت: لم يجعل علة للمغفرة، ولكن لاجتماع ما عدد من

الأمور الأربعة وهي المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوّك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض الآجل والعاجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدو سبباً للمغفرة والثواب ا. ه قال ابن عادل: وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية، فإنّ اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها فكان ينبغي أن يقول: كيف جعل فتح مكة معللاً بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللاً ا. ه وقيل غير ذلك والأسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي[1].

(١) الخطيب الشربيني، السراج المنير ٣٧/٤.

الخاتمة:

وبعد القِراءة والتَّجوال في صفحات تفسير الخطيب الشربيني، وأخذ بعض النماذج من الأقوال التي ضعفها، أو ردها لمخالفتها القراءات القرآنية، أو قواعد اللغة العربية، وصلت الباحثة إلى جملة من النَّتائج والتَّوصيات، يُذكر أهمها:

١. يعتبر الخطيب الشربيني من المفسرين المحققين في فحص أقوال المفسرين، والبحث فيها لكشف الصحيح من السقيم.

٢. الأقوال التي ضعفها الخطيب الشربيني، أو ردها ظهرت بعد البح، والتتبع أنها ضعيفة، أو مردودة كما ذكر.

٣. الأقوال التي ضعفها الشربيني، أو ردها كانت مبنية على دلالات، وقواعد علمية خالية من التعصب.

٤. اهتم الخطيب الشربيني باللغة فظهرت عنايته الخاصة بالتعبيرات القرآنية ولا سيما المتعلقة بعلوم النحو والبلاغة، كذلك استشهد بالشعر العربي وأقوال العرب وكان هذا ظاهرًا جليا في تفسيره.

٥. ظهر اهتمام الخطيب الشربيني بعلم القراءات القرآنية.

٦. كان منهجه في رد القراءات القرآنية والقواعد اللغوية هو التحليل وحسن التعليل، وكانت لديه قدرة إقناعية مستمده من تمكنه من العلم والمعرفة.

أما أهم التوصيات:

١. إجراء دراسة في بيان أثر القراءات عند الخطيب الشربيني وموازنتها مع أراء أئمة هذا العلم.

٢. كتابة موضوعات مشابهة تعني بدراسة الأقوال التي ضعفها علماء التفسير من خلال كتبهم.

٣. دراسة أساليب علماء التفسير في النقد والتوجيه والرد والتضعيف.

المصَادر والمراجِع:

١. إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي للنشر – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ –١٩٧٥ م.

٢. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩ هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمود الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦ م.

٣. ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، "**الحجة في القراءات السبع**". تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم الأستاذ المساعد بكلية الآداب –جامعة الكويت. دار الشروق – بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

٤. أبو علي الفارسي، "**الحجة للقراء السبعة**" دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، اط٢، ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م.

٥. إسماعيل باشا البغدادّي **هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنفين**، (د. ط)، دار إحياء التراث العربّي، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م.

٦. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي للنشر –بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧. الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة،١٢٨٥ هـ.

٨. الذهبي، محّمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسّرون**، (د. ط)، مكتبة وهبة، القاهرة.

٩. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر –أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٠. علي باشا المبارك، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر** القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة: ط ١، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

١١. كحالة؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى –بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٢. محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر.
١٣. محمد بن محمد الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**: وضع حواشيه: خليل المنصور، ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.
١٤. مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب حلبي، **كشف الظنون غراس الكتب والفنون**، (د. ط)، دار إحياء التراث.
١٥. يوسف اليان سركيس، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).